جماليات ذكر الأماكن المقدسة في قصائد المديح الأندلسي

د. سراب حسن يحيى شامي

ملخص البحث:

تعد الأماكن المحببة مرتكزاً مكانياً يتذكر من خلاله الشاعر الأندلسي جذوره وجذور أجداده؛ لذا وجدنا حضور الحجاز والأماكن المقدسة في معظم موضوعات الشعر الأندلسي بقصائده ومقطوعاته المتعددة، يحتفي فيه الشعراء بالمكان احتفاءً بالغاً يعبر عن صدق وقوة العاطفة وتأججها و الحنين والشوق إلى بيت الله والمسجد النبوي.

وقد هدفت الدراسة إلى إبراز بعض العطاءات الأندلسية في مجال التواصل بين المشرق والمغرب، واستيحاء تجلياتها في حضور الأماكن المقدسة في ذاكرة الإبداع الشعري الأندلسي من خلال قصائد المديح.

ومثلت مادة المعالجة دراسة مديح الشعراء للأماكن المقدسة وعرضها برؤية جديدة من خلال بيان خصائص هذا اللون من المديح الذي تطبعه هذه الأماكن المقدسة (كالكعبة، والحرم، والمقام، والصفا، والمروة) مع رسم شخصية للممدوح من خلال الرمز الموحي بالقوة والأصالة مع الصدق والواقعية، وخلصت الدراسة إلى حضور المكان المقدس بصورة واضحة والاهتمام البالغ لديهم بالأبعاد التاريخية والاجتماعية والفكرية والأدبية والنفسية لبيان جماليات ذكر الأماكن المقدسة، واستلهام شعراء المديح الأندلسي للأماكن المقدسة والأحداث التاريخية الإسلامية التي حدثت فيها مما أكسبها هالة إسلامية وضاءة في أشعارهم.

الكلمات المفتاحية:

الجمال في اللغة: مصدر الجميل ويعني البهاء والحسن، ومن الحسن يكون في العقل والخُلق، وسقع على الصور والمعاني(١).

وقد ذهب النقاد في تعريف الجمال مذاهب مختلفة فمنهم من اعتبره "المثل الأعلى للوجدان" (٢) ومنهم من عرفه بأنه "اللذة التي يحدث من إدراك صفات شيء سواء أكان هنا الشيء امرأة أو شعر أو حركة أو عملاً أو غير ذلك" (٣).

ويمكن أن نعد الجمال "بعضاً من تكوين العمل الفني لا ينفصل عنه"(٤) لأنه النص ماهيته الفنية ومن ثم يجعله قادراً على رسم أبعاد التجربة الشعرية والمواقف(٥).

المكان لغةً هو: "الموضع لكينونة الشي فيه، والجمع أمكنة وأماكن جمع الجمع" (٦) يعد المكان من أهم المظاهر الجمالية الظاهرتية التي دعت النقاد وعلماء الجمال العرب الاهتمام به، وتقصيه ودراسته(٧)، ولما للمكان من دور بارز في عملية تشكيل المفاهيم لدى البشر وفي تعدد هذه المفاهيم مما شكل نمطاً متعدد الأبعاد. ولقد لبست المواضع الحجازية ولاسيما الأماكن المقدسة صبغة روحية محضة. وصار موقعها في السمع يحمل مزيجاً من الشوق والحنين ومن نفحة الروعة والجلال الديني(٨). وقد تنوعت بين الأماكن المقدسة مثل مكة المكرمة وما تحويه من معالم كالكعبة والبيت الحرام، والصفا والمروة، ومشاعر الحج منى وعرفات ومزدلفة ومواضع الجمرات والمدينة المنورة وما تحويه من مثوى الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجده وروضته الشريفة، والبقيع وقباء، وبدر وأحد.. هذا إلى جانب أسماء المياه والمضارب والوديان ومنازل الطريق من الأندلس إلى الحجاز، مع ذكر أسماء الجبال والتهام والنجود التي عُرفت بها شبه الجزيرة العربية، وتظل الأماكن المقدسة أبرز الأماكن التي بقيت كما يريد لها الله عز وجل أن تبقى أماكن قداسة دينية تهوى إليها الأفئدة والقلوب والنفوس، وتشد إليها الرحال من حجٍّ وعمرة وزيارة (٩)، ولتتحقق بذلك دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما دعا ربه في قوله تعالى: {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} (١٠).

المقدمة

عاش العرب المسلمون في الأندلس

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

ما يقارب ثمانية قرون حافلة بالازدهار والعطاء الحضاري الذي تجلى في مؤلفاتهم وطرازهم العمراني وبالرغم من هذا الازدهار والطبيعة الخلابة "ظل الحنين إلى الشرق يمثل جانباً كبيراً من أماني الشعراء الأندلسيين وأحلامهم منذ استوطن العرب تلك البلاد، لما كانت الأماكن المقدسة مصدر زاد الأندلسيين الروحي والثقافي فكل أندلسي يشعر بأنه يشكل جزءاً من هذا الكيان يحن إليه ويتواصل معه ويحفظ لبلاد الحرمين إجلالاً كبيراً وتقديراً عظيماً. لقد أدرك الشعراء الأندلسيون أن للجزيرة العربية ولاسيما (الأماكن المقدسة) ألواناً فنية خاصة تميز شعرهم عن غيرهم مما جعلهم يتواصلون مع موروثات الحياة العربية الأولى في مجتمعاتهم ; ليتلمسون من ذلك المكان مثيراً ارتبط بنفوس هؤلاء الشعراء الأندلسيين فلا يكاد أحدهم يصف أ يتغزل او يمدح أو يرثي إلا ويتذكر الأماكن الحجازية مما يدل على عمق التجربة الشعرية التي رامها الشعراء سعياً لكمال النموذج الشعري وخلود الأثر الفني" (١١)

وقد جاء البحث في تمهيد ومبحثين وخاتمة تشمل على أهم النتائج والتوصيات.

تناول المبحث الأول الحديث عن دلالات الألفاظ الدينية واللغوية والنفسية مع بيان المجمع الشعري الأندلسيين بينما تناول المبحث الثاني: الصورة الشعرية مع بيان ألوان التصوير وحيويته.

التمهيد: المديح الأندلسي وخصائصه الموضوعية:

يعد المديح من أبرز فنون الشعر الأندلسي و"كان يعتمد على الشعر القديم ومعانيه وأفكاره" (١٢)

وكان يغلب على المديح هذا العصر "طابع الاستغاثة واستنهاض همم ملوك المغرب وتونس للمؤازرة في الدفاع عن مجد العرب المهدد بالضياع في الأندلس" (١٣). وقد ظهر مدح البقاع الطاهرة ووصف الأماكن المقدسة في غرض المديح من خلال موضوعين: الأول المديح النبوي والثاني مديح ولي الأمر.

أما الأول فقد حوت المدحة النبوية الأندلسية وصف الرحلة إلى الحجاز ومدح ووصف الأماكن المقدسة التي شهدت مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعثه، ونزول الوحي، ومثواه صلى الله عليه وسلم. كما ظهرت الأماكن المقدسة من خلال المولديات التي كانت تجمع بين مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ومدح السلطان، وأبرز الأماكن المقدسة التي ورد ذكرها ضمن هذا الموضوع مكة المكرمة والمدينة المنورة فقد اهتم الشعراء الأندلسيون بوصف مكة المكرمة لما لها من فضل ولادته صلى الله عليه وسلم ونشأته وبعثته، وقد أحبها الشعراء وناجوها واصفين أشواقهم وحنينهم فابن السيد البطليوسي يخاطبها واصفاً معالمها (١٤): [الطويل]

أمكةُ تفديك النفوس الكرائمُ
ولا بَرِحت تنهُل فيك الغمائم
وكفت أكف السوء عنك وبُلِّغت
مناها قلوبٌ كي تراك حوائم
فإنك بيت الله والحرم الذي
لعزته ذل الملوك الأعاظم

وقد حظيت المدينة المنورة مهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم ومثواه بوصف الشعراء الأندلسيين لها وصفاً مستمداً من بيئة الأندلس الطبيعية حيث الروض والبساتين والرياحين والورود فلبَّال بن أمية يصف المدينة المنورة والروضة الشريفة بقوله: (١٥)

فطاب به تُربُ الضريح بطيبة
فيعبَقُ عن مسك نديّ وعن ندَّ

ومما يتصل بمديح مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وصف الزيارة والروضة الشريفة ولعل عبد الملك السلمي من أوائل من وصف الزيارة النبوية –كما ذكرنا سابقاً- فيقول في تلك الزيارة عارضاً مشاهدها مازجاً وصفه بمشاعر التشوق والحنين (١٦): [الكامل]

لما وقفتُ بقربه لسلامه
جادت دموعي واكفَ العبرات
ورأيت حُجرتَهُ وموضعَهُ الذي
قد كان يدعو فيه في الخلوات
مع روضةٍ قد قال فيها: إنَّها
مشتقّةٌ من روضة الجنّات

ولعل الرحالة الأندلسيين من أصدق الشعراء تعبيراً عن الزيارة لمشاهدة المدينة المنورة ومن بينهم البلوي الذي يعدد مواضع كثيرة في المدينة المنورة رآها بعينه لحظة وصوله (١٧): [الكامل]

لاحتْ معالمُ يثربٍ وربوعها
مثوى الرسول وداره وقراره
هذا النخيل وطيبةٌ ومحمدٌ
خيرُ الورى طراً وها أنا جاره

أما النوع الثاني من المديح الأندلسي و ظهر فيه ذكر الأماكن المقدسة والأثر الحجازي والذي توجه به الشعراء إلى أولي الأمر من الخلفاء أو الوزراء أو الأمراء أو القواد، والمدائح من هذا النوع لا تخرج عند الشعراء الأندلسيين عن الصفات التقليدية كصفات المروءة والوفاء والكرم

والشجاعة، والجانب الآخر من المدائح يدور انتصارات الممدوحين التي تعد نصراً للإسلام والمسلمين، ويدخل في ذلك أحياناً وصف جيوشهم ومعاركهم الحربية (١٨)، وتعددت طرائق المديح في الأندلس، وتنوعت مناهجه(١٩)، فنجد بعض الشعراء يحرصون على وصف رحلتهم إلى الممدوح جرياً على الأسلوب التقليدي في المدح (٢٠)، فمن ذلك قول ابن هانئ يمدح الخليفة المعز لدين الله مستعيراً ألفاظ الحج ومناسكه(٢١): [الكامل]

حجت بنا حرم الإمام نجائب
ترمي إليه بنا السهوب الفيحا
فتمسحت لم به شعث وقد
جئنا نقبل ركنه الممسوحا

ولعل من الجديد في مضمون قصيدة المديح الأندلسية أن الشعراء جعلوا وجدان الأمة في الحجاز متمثلاً في أماكنه المقدسة هو الذي يخاطب الممدوح فهذا ابن هانئ يثني عليه ويشيد به (٢٢): [الطويل]

بكم عز ما بين البقيع ويثرب
ونُسّكَ ما بين الحطيم وزمزم

قيم الممدوح وصفاته:

كانت القيم التقليدية القديمة كالعراقة في النسب والكرم والشجاعة والعدل من أبرز القيم التي أضفاها الشعراء الأندلسيون على ممدوحيهم، ولعل في ذلك ما يؤكد التمسك في الأصول على الرغم من الابتعاد عن المشرق العربي وهذا يتم على طبيعة العربي، وارتباطه بجذوره إلى درجة تجعل هذه الخاصية "أساساً من أسس تفكيره، يتمثل في مواجه الحضارة بناءً على أنساق سابقة مستمدة من الماضي" (٢٣).

وعلى ما يبدو فقد حرص الشعراء على إثبات هذه الصفة عند ممدوحيهم لإشباع رغبات الأمراء وليثاب عليها ويثيب عليها، ويظهر في ذلك في نسبة ممدوحيهم للعرب من بني هاشم أثار النسب العربي والكرم الهاشمي، فابن دراج يمدح آخر ملوك بني مروان مؤكداً أصالته في العروبة والنسب وانتماءه إلى بيت النبوة كأصالة الأماكن الحجازية وقدسيتها فيقول(٢٤): [السريع]

نموك إلى بيت النبوية وابتوا
لك الشرف الفرد الذي أنت فرده
فافخر بمن قرب النبيين فخره
وامجد بن مجد الخلائف مجده
ومن أمه "أجياد" والركن "ظئره"
ومرضعه البطحاء والحجر مهده

فالأبيات السابقة تنسب بنوة الممدوح إلى الأماكن الحجازية المقدسة تحتضنه وتحن عليه كالأم الرؤوم، مما يضفي على شخصية الممدوح قدسية تلك الأماكن وطهارتها.

وكان ابن دراج يرى مبايعة القوم لممدوحه تشبه بيعة الرضوان للرسول صلى الله عليه وسلم فيقول(٢٥): [السريع]

وبيعةُ رِضْوانٍ رعى الله حقّها
لمن بيعةُ الرضوانِ إذْ غابَ جَدّهُ

ويمدح ابن زمرك مشيداً بانتصارات ممدوحه معدداً بعض المعارك والغزوات الإسلامية فيقول (٢٦):[الطويل]

فسائل ببدرٍ عن حمايةَ خزرج
ترى الكتبَ فيها تستفزُ المسامعَ
وسائل حُنيناً عن مواقف بأسهم
ترَ النصر فيها إذ يغضُ المدارعَ

يتضح مما سبق حرص الشعراء الأندلسيون على "استلهام التراث من خلال التذكير بالأحداث التاريخية الإسلامية مما يكسب المديح هالة إسلامية وضاءة قادرة على استثارة إيحاءات فكرية وعاطفية في نفوس المسلمين جميعاً والمقاتلين منهم بصورة خاصة" (٢٧).

المبحث الأول: اللغة الشعرية

أولاً: دلالات الألفاظ

اهتم شعراء الأندلس بالكلمة "عن طبع طبعوا عليه وهو طبعٌ جعلهم يحرصون علىَ انتقاء مفردات القصيدة" (٢٨) وفضلًا عن ذلك اهتموا بالاتجاه القديم المحافظ التقليدي نتيجةً للشعور بالانتماء بالجذور،والاعتزاز بالأهل في المشرق ومحاكاتهم تأكيدًا للأصالة(٢٩).

١- الدلالة الدينية:

وقد ظهر أثر الثقافة الدينية في لغة شعراء الأندلس في استخدام ألفاظ القرآن الكريم، والحديث الشريف، إلى جانب توظيف مصطلحات التفسير والفقه والحديث ومما تسرب إلى تلك اللغة من ألفاظ التصوف والتشيع التي ظهرت لتدلل على رغبة الشعراء في مسايرة التيار الديني العام الذي ساد الأندلس وكان له آثاره الواضحة في اللغة الشعرية بعدما تغلغل ذلك الأثر في مضامين أشعارهم فطبع لغتهم بسمات دينية واضحة أكسبت لغتهم سهولة واضحة وسلاسة في الألفاظ. ونلتمس ذلك عند ابن دراج في أثناء إشادته بالأنصار قبيلة الممدوح معتمدًا على انتسابه إليهم (٣٠): [البسيط]

هُمُ الذين هُمُ آووا وهُمْ نصروا
لما أتاهمْ من الرحمنِ ما عَرفُوا

مأخوذ من قوله تعالى: {وَالذِينَ آوَواْ

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

وَنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً} (٣١).

ويشير ابن زمرك في أثناء وصفه للمرتحلين إلى مثوى الرسول الكريم مادحًا المدينة المنورة إذ يقول(٣٢):

هناك تؤدّى للسلام أمانةٌ
يحيِّيهمُ عنها بروح وريحان

ونلمح في عجز البيت اقتباساً قرآنياً من قوله تعالى: {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّاتُ نَعِيمٍ} (٣٣)

أما ابن الأبار فيمدح قائلًا(٣٤): [الطويل]

هُمُ القومُ لا يشقى جليسُهُمُ بهِمْ
وحَسبي أن يَغشى مجالسهُم قَلْبي
مُحمدٌ المنصُورُ بالرُّعبِ والصبا
فَبَيْنَ الصَّبَا طاحتْ أعاديه والرُّعْب

فصدر البيت الأول اقتباس من حديث طويل للرسول صلى الله عليه وسلم ".. هم القوم لايشقى بهم جليسهم"(٣٥) وصدر البيت الثاني اقتباس وتضمين لألفاظ الحديث الشريف " ثم أعطيت خمسًا لم يُعطهن أحدٌ قبلي: نُصِرتُ بالرُّعبِ مسيرة شهر، وجعلت لي الأرضُ مسجدًا وطهوراً.."(٣٦)

ولعل اعتماد الشعراء الأندلسيين على ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف كان بمنزلة التدعيم للنص الشعري وتجميله وإضفاء القوة والأصالة على شعرهم من جهة، كما يعكس ثقافة شعراء الأندلس واتصالهم بالمصادر الدينية من جهة أخرى.

وتتسعُ معارف شعراء الأندلس ويظهر تأثرهم بالعلوم الدينية في عصرهم لتستوعب الفقه ومصطلحاته، فهذا ابن هانئ يهنئ ممدوحه باستخدام مصطلحات فقهية فيقول(٣٧):

وتدري فُروض الحجِّ من نافلاته
ويمتازُ عند الأمَّة الخيرُ والشَّرُّ.

ويشير ابن فُركون في أثناء مديحه إلى بعض الأحكام الفقيهة في قوله (٣٨): [الطويل]

وألفيتُم شتَّى الأماني في منىً
وعند وجود الماء يُلغى التيمّم

ومما يعكس الموروث الديني عند الشعراء الأندلسيين استخدام ألفاظ الحج وتتصل بذلك ألفاظ الحج والعمرة كالطواف والسعي والتهليل والتلبية، كالذي نجده عند ابن دراج الذي يشيد بممدوحه في عيد أضحى (٣٩): [الكامل]

فغدا نداك يُهِلُّ في شرف العلا
لهجاً يُلبِّي ليتنا ولعلنا
وخلفت سعي المروتين مُعاقبا
بين الندى والبأس سعياً ما ونى
وغدوت تُهدي للمصلِّي جحفلاً
لسيوفه خَضَعَ الصليبُ وأذعنا

ظهر أثر الثقافة الدينية في لغة شعراء الأندلس ظهرت آثارها في استخدام ألفاظ القرآن الكريم، والحديث الشريف، إلى جانب توظيف مصطلحات التفسير والفقه والحديث ومما تسرب إلى تلك اللغة من ألفاظ التصوف والتشيع التي ظهرت لتدلل على رغبة الشعراء في مسايرة التيار الديني العام الذي ساد الأندلس وكان له آثاره الواضحة في اللغة الشعرية بعدما تغلغل ذلك الأثر بسمات دينية واضحة أكسبت لغتهم سهولة واضحة وسلاسة في الألفاظ.

٢- الدلالة اللغوية:

تأثرت اللغة الشعرية عند الأندلسيين بأسلوب الحياة الاجتماعية في تلك الديار فمالت لغتهم إلى الاقتراب إلى لغة العامة (٤٠).

لتكون بذلك اللغة الشعرية قادرة على التعبير عن الواقع والبيئة ومن ثم كانت الصلة قوية بين أشعارهم ومصادرها(٤١).

ونلمس مثل هذه السهولة أيضاً عند حازم القرطاجني(٤٢): [الكامل]

قف بين قبر محمد والمنبر
وقُلِ السَّلام على السراج الأنور
ألثم ثرى قبر النبي محمد
وبذلك العَفر الأسرَّة عَفر
وانظر بمسجده محلَّ سجوده
وإلى مقام قيامه فيه انظُر

فأمثلة الشعرية السابقة جاءت من الكلمات الموحية في لغة نثرية مباشرة تتحدث عن الأشياء بصورة سطحية خالية من الكلمات الموحية المعبرة خضعت ألفاظها للنقل المباشر دون تصوير، ولعل مثل هذا الاتجاه يجعل الشعر عندئذ يميل إلى مذهب في متناول عامة الناس يلبي احتياجاتهم ويوافق رغباتهم في ذلك العصر.

وإلى جانب نثرية اللغة "لم يجد الشعراء حرجاً في أن يترخصوا في تخفيف الهمزات أو حذفها تسهيلاً للنطق، ولتزداد لغتهم قرباً من اللغة العادية"(٤٣)

ونلاحظ هذا التخفيف في لفظة (حوايجا) بدلاً من (حوائجا) ومن ذلك قول ابن الجنان يصف زوار المصطفى صلى الله عليه وسلم (٤٤): [الطويل]

وقضوا بتقبيل الجدار ولثْمه
حقوقاً تُقضَّى للنفوس حوايجا

ونجد الميل إلى بعض الألفاظ الشعبية أو القريبة من لغة العامة مثل كلمة

(هُنيّا) عند ابن الجنان حين يقول (٤٥): [الطويل]

ولما دنوا نودوا هُنيّا وأقبلوا

إلى الرُّكن من كل الفجاج أدارجا

ويعلل د.نافع محمود شيوع هذه الظاهرة في لغة الشعر الأندلسي بقوله: "وهذا شيء طبيعي ذلك لأن الشاعر يستخدم اللغة السائدة في مجتمعه، وهو لكي يوصف فكرته أو شعوره إلى الآخرين مضطر لأن يستخدم هذه العملة التي يتعامل بها الناس، فيكشف بذاك قيمتها التعبيرية والجمالية ويسمو بها إلى عالم الشعر" (٤٦).

٣-الدلالة النفسية:

إن الألفاظ الأندلسية قد اكتسبت دلالات نفسية ظهرت من خلال إيحاءات الألفاظ، مما يدل على شعور القائل ونفسيته، لما تحمله من إشعاعات ودلالات خاصة تتفاوت بمقدار إحسان الشاعر اختيار ألفاظه ذات الدلالة الموحية عن عاطفته. وقد ظهر ذلك من خلال الحديث عن الأماكن الحجازية المقدسة في أثناء المديح.

ولإبراز بعض السمات النفسية للألفاظ عند الشعراء الأندلسيين سأقتصر على نماذج شعرية أجاد شعراؤها في اختيار ألفاظها وبدت من خلالها تلك الألفاظ موحية تثيرنا عندما نسمعها وأغلب هذه الألفاظ مما ذكر مع الأماكن الحجازية سواء أكانت أماكن مقدسة أم تاريخية ذاعت شهرتها وهي ذات ظلال موحية تثير شجون الشاعر عند ذكرها أو تكرارها.

ومما ورد فيه ألفاظ موحية قول ابن هانئ في المدح مشيراً إلى الأماكن الحجازية المقدسة (٤٧): [الطويل]

فبشَّر به البيت المحرّم عاجلاً

إذا أوجف التطوافُ بالناس والنَّفرُ

و(بشّر) بأحرفها الأربعة والشين المشددة ذات دلالة واسعة تشمل النفس فتنتشر الفرح والسرور، وتُشعر بما في النفس من رغبة في انتصار الممدوح حتى تعم البشرى أرجاء البلاد، ثم يورد لفظة (البيت) موصوفة بالحرمة. فللبيت دلالات نفسية تخدم التعبير إذ هو "كيان مميز لدراسة ظاهراتية لقيم ألفة المكان من الداخل ويُبرز القيمة غير الشائعة لكل الصور المتعلقة بالألفة المحمية.. وهو رمز الألفة والتوحد يخلو فيه الشاعر بنفسه حيث يترك العالم ويسبح بخياله، فالبيت هو الحياة.. الاستمرار.. التجدد" (٤٨).

وفضلاً عن ذلك تحمل هذه اللفظة معاني ودلالات خاصة بنا نحن المسلمين. ونلمح من خلال ذلك كله مدى دقة ابن هانئ في إسناد البشرى إلى البيت الذي وصفه بالمحرم وهذا الوصف يزيد المعنى عمقاً نفسياً فيوحي بالحماية والمنعة والقدسية والألفة.

وأما ابن حمديس فيجعل مثوى الممدوح أخا البيت العتيق حين يقول (٤٩): [البسيط]

كان مثواكَ للبيت العتيق أخٌ

واليعملات إليه تملأ الطُّرُقا

ففي اختيار لفظ (أخ) دلالة نفسية تجعل الممدح يشعر بالزهو والافتخار حيث آخى بين البيت والممدوح، واختيار لفظة (أخ) دون غيرها من الألفاظ ينم على الدقة في اختيار ألفاظه فالأخ تعني "الأخ من النسب وتعني أيضاً الصديق والصاحب"(٥٠) وهي تدل على العضد والسند القوي والنصير، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: { وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي}(٥١) فجميع هذه المعاني توحي بها لفظة (أخ) التي اختارها الشاعر لأن يكون مكان ممدوحه فيها أخاً (للبيت العتيق) بغرض إعلاء شأن الممدوح وبيان حرمة مثواه وقدسيته التي يقرنها إلى حرمة البيت العتيق.

واختيار لفظة العتيق صفة للبيت الذي يُراد به "المعتوق أي الحرّ الذي لا يستطيع أحدٌ أن يسترقه ويستعبده" (٥٢) تدل على القوة التي يستمدها الممدوح من أخوته للبيت العتيق.

فلما كان البيت الله العتيق لا يمكن أن يُستعبد أو يسترق فكذا ممدوحه عزيزاً حراً منيعاً لا يستطيع أحد أن ينال من شأوه.

ونلمح سمات نفسية أخرى عند ابن حمديس خلال اختيار الشاعر لألفاظه كقوله يمدح ويهنئ ممدوحه بالعيد(٥٣): [الخفيف]

لك يدعو بمكةَ كل برّ

حول بيت الإله ذي الأستار

فقد وظف ابن حمد يس لفظة (يدعو) ليوحي بما يشعر به من محبة ممدوحه، ورغبته في تهنئته تهنئة خالصة جاعلاً من الأماكن المقدسة (الكعبة) ألفاظاً تشع بالفرح والسرور، فيحس بأهميتها المستمدة من دعاء الحجاج له بمكة واختار الفعل (يدعو) بصيغته المضارع ليدل على الاستمرار والتجدد ما طاف طائف بالكعبة المشرفة.

واختيار مكة يكسب الممدوح الطمأنينة

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

النفسية فهذه البلدة من أطهر بقاع الأرض، وفيها يُجاب الدعاء ثم خص بعد ذلك مكاناً مقدساً اتجه إليه وهو الكعبة (حول بيت الإله ذي الأستار) يعني به الكعبة وكل هذا يشعر ممدوحه بأنه محبوب لدى كل من حج البيت وطاف حوله.

ومن الشواهد الشعرية التي تبين مقدرة الأندلسيين على اختيار ألفاظهم قول ابن هانئ يصف ممدوحه(٥٤): [الطويل]

حبيبٌ إلى بطحاء مكةَ موسمٌ
تُحييَّ مَعَدّاً فيه مكة والحجْر

فلفظة (حبيب) مع وزن فعيل صيغة من صيغ الصفة المشبهة وقد وظفها الشاعر لتوحي بمدى حب المكان (بطحاء مكة) للممدوح وحتى يضفي سياجاً من القدسية على هذا الحب مع الثبات والدوام فلا يتمالك السامع أو القارئ إزاء هذا الحب المتبادل بين الممدوح وبطحاء مكة إلا أن يحبّ هذا الممدوح ويرنو إليه.

ومما يتصل بدلالة الألفاظ النفسية وقدرة الشاعر الأندلسي على تخير ألفاظه ما أورده البلوي مخاطباً مكة عند وداعه لها (٥٥): [المتقارب]

أيا شعب مكة نومي حَرامُ
متى قوّضت عن رباك الخيامُ
ألفناكِ إلف الرضيع الرَّضاعَ
وقد يُؤْلَفُ الرضيعَ الفطامُ

ففي قول الشاعر (نومي، حرام) تبرز عاطفة الشاعر الإيمانية وهي لفظة شاعرية لها إيحاءات نفسية متعددة فيضعنا بتقريره أن النوم حرام على عينه لأنها سوف تفارق مكة ثم يذكر سبب ذلك بألفاظه مختارة تكشف عن مشاعره فاختار لفظة (ألفناكِ) من "ألِفَ الشيء وألفتُ فلاناً إذا أنِسْتَ به" (٥٦)

وهذا يوحي بالأنس والقعود والتلازم، واختار لفظة (الرضيع) حتى يوحي بأهمية العلاقة التي نشأت بين الشاعر وبين ربوع مكة مشبهاً إياها بإلف الرضيع للرضاع وألمه عند الفطام، فقد اختار الشاعر ألفاظاً رقيقة توحي بمعانٍ حانية لأن الرضيع يحتاج إلى من يعطف عليه، ويحنو عليه، ويحتويه بحبه فكأن الشاعر يوحي بهذه المعاني النفسية كلها حال اختياره ألفاظ بيته، ومما يزيد في بيان نفسية الشاعر المعذبة لفراق هذه المكان الأثير على قلبه فاختياره (يؤلن) فصياغة الفعل هنا تفيد الاستمرار والتجدد ويؤكد استمرارية ألمه لفراق مكة فضلاً عن توكيد الفعل بالنون المشددة.

ثانياً: المعجم الشعري

اعتمد الشعراء الأندلسيون لغرض المديح معجماً خاصاً بالألفاظ وهو معجم "متنوع ثري يتمتع بالطاقات الفنية التي تعين الشاعر على رسم أبعاد التجربة" (٥٧).

ومعجم ألفاظ مديح أولي الأمر يتصل بالفخامة والجزالة فألفاظه قارعة مدوية منسجمة مع جو الحرب والجهاد ووصف مآثر الممدوح وشجاعته، ومن ذلك قول ابن هانئ (٥٨): [الكامل]

أيسر قوماً أن مكة غودرت
بمجر جيش الروم قاعاً صفصفا
فكأنني بالجيش قد ضاقت به
أرض الحجاز وبالمواسم دُلفا

فنجد الألفاظ (مجر، قاعاً، صفصفا، جيش، ضاقت) وهي ألفاظ تملأ الفم وتوحي بالقوة والصخب.

ويصف ابن دراج فتوحات المنصور العامري قائلاً (٥٩): [الطويل]

سيوفٌ على الجُردْ العتاق عزيزة
وأرض إلى البيت العتيقِ ذلولُ

فنجد الألفاظ (سيوف، الجرد، عزيزة، العتيق) وهي ألفاظ تدل على القوة والمنعة ويظهر من خلال البيت معجمٌ خاص بالمطية والراحلة (العتاق، وذلول)

ثالثاً: أثر البيئة الحجازية في اللغة:

ومن الظواهر التي اتسمت بها لغة القصيدة الأندلسية هو توظيف أسماء الأمكنة المقدسة والمعالم الدينية لخدمة تجاربهم الشعرية (فطيبة، والروضة الشريفة، وقباء، ومكة، والكعبة، وزمزم، والحطيم او الصفا، والمروة، والمحصب، ومنئ، وعرفات) و غيرها " أسماء موحية تحتوي على شحنة تاريخية كبيرة تعطي للقصيدة بعداً زمنياً،وتثير حولها جواً روحانياً، وعبقاً دينياً، يزيدان من تأثيرها وقوتها (٦٠)" ولا شك أن معظم هذه الأماكن والمعالم الحجازية قدظهرت بألفاظها الموحية ودلالاتها الناطقة بالهدى، واليقين، والضياء، والطهارة، والنقاء) من خلال معظم موضوعات الشعر الأندلسي مما يدل على سيطرة هذه الألفاظ على الشعور في الوجدان المسلم، وعلى دوائر التوهج في مدارات الإبداع(٦١).

ومما يتصل بأثر البيئة في ألفاظ الأندلسيين شيوع أسماء الأعلام والشخوص والقبائل الحجازية التي كانت غالباً ما ترد في أثناء المديح بنوعيه، وفي الحجازيات (قصائد الغزل) فمما فيه

ذكر الأعلام والشخوص قول ابن دراج مادحاً(٦٢): [المتقارب]

فسمَّيُ جدِّكَ " عمرو الكرام"
بهشم الثريد زمان المحول
وشيبة ساقي الحجيج الكفيل
بمأوى الغريب وقوت الخليل
وضيف حتى وحوش الفلاة
وأهدى القرى لهضاب الوعول
وإن أبا طالب للضيوف
لأطلب من ضيفه للحلول

فعمرو الكرام، وشيبة، وأبوطالب شخصيات تاريخية ثرائية وظفها الشاعر" من قبيل ضرب المثل والاستشهاد.. بغية إيضاح جانب من جوانب الفكرة العامة للنص وتأكيدها "(٦٣). وهي المدح والثناء على الممدوح بجوده وكرمه فكان الشاعر من خلال هذه الأسماء قد" استحضر الماضي بأجوائه وبملامحه التراثية، بشخصياته ورمزه ليعبّر بواسطته عما يجري "(٦٤) في عصر الممدوح، وليس ذلك فحسب بل إن الشاعر باختيار قوله (فسمّي جدك) كأنه يعقد صلة قرابة مع تلك الشخوص والأعلام التي ذكرها.

وأما أسماء القبائل التي ذاعت في لغة الشعر الأندلسي عن طريق التأثر بالبيئة الحجازية فكان لقريش النصيب الأوفى في انتشار تلك الأشعار كالذي نجده عند ابن خفاجة مادحاً (٦٥): [الطويل]

ترى لقريش فيه برق مخيلة
يلوحُ، وعرقاً للخلافة ينزعُ

ومن أكثر الجماعات التي ورد ذكرها في مديحهم (الأنصار). وقد ذكرت سابقاً، ذلك يعود إلى أصول الممدوحين المنتمين إلى هذه الجماعة، ولاسيما ما ورد عن أصول بني نصر ملوك غرناطة كما يقول ابن زمرك مشيداً بانتساب الممدوح إلى هذه الجماعة (٦٦): [المتقارب]

فيا بن الذين إذا ما انتموا
أتوا بنجوم السماء قبيلا
بصحب النبي وأنصاره
ومن أصبح الدِّين فيهم نزيلا

ويشيد ابن فُركون بالخزرج إحدى قبائل الأنصار (٦٧): [الطويل]

إذا الخزرجُ الأعلون عُدّد فضلُهم
فمن عامرٌ أو من سليمٌ وطيّءُ

وقد شهدت الأشعار الأندلسية جانباً من أحداث التاريخ التي وقعت في الحجاز قبل الإسلام وبعده، نلمح ذلك من خلال الإشارة إلى بعض تلك الأحداث كحادث قدوم أبرهة على مكة لهدم الكعبة قبل الإسلام ويشير إلى ذلك ابن هانئ بقوله(٦٨): [الرمل]

حاصروا مكة في صيّابةٍ
عقدوا خير حبىً في خير نادِ
فلهم ما أنجاب عنه فجرّها
من قليب أو مصاد أو مُرادِ

ولعل ما أوردت من أمثلة وظف من خلالها شعراء الأندلس أسماء قبائل وجماعات وأعلام، وأحداث تاريخية حدثتفي الحجاز يعد دليلاً واضحاً على أثر البيئة الحجازية في لغة الأندلسيين من جهة، كما يدل على معرفة الشعراء بالأنساب والتاريخ، ورغبتهم في عرض هذه المعرفة من خلال نظمهم كما يدل أيضاً على تأكيد الشعراء الأندلسيين التواصل مع الأماكن المقدسة لأنها الموطن الأصيل الذي تتعلق به الأفئدة وتشد إليه الرحال.

ويتضح مما سبق من خلال جماليات لغة الشعر الأندلسي أن البيئة الحجازية بطبيعتها ونباتها وبأسماء وأمكنتها ولا سيما المقدسة وبأعلامها وأحداثها التاريخية ظهرت من خلال لغة الشعر الأندلسي لتضرب المثل في الأصالة مع رغبة الشعراء في استحضار الماضي الزاهر في عهد النبوة.

بعد هذه الجولة عبر الحديث عن اللغة الشعرية عند الأندلسيين يمكن أن نخلص إلى عدد من الملاحظات نجملها فيما يأتي:

١- ظهور السمة الدينية على الألفاظ من خلال تأثر الشعراء بألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف وما يتصل بهما من علوم دينية فظهرت مصطلحات الحديث، والفقه وقد غلبت سمات هذا التأثر اللفظي على شعرهم.

٢- ميل الشعراء إلى السهولة والرقة في ألفاظهم، مما دعاهم إلى تخفيف الهمزات أو حذفها تسهيلاً للنطق.

٣- ميل الشعراء إلى الألفاظ الشعبية أو القريبة من لغة العامة المتأثرة بالبيئة في أثناء وصف الرحلة إلى الممدوح.

٤- إجادة الأندلسيين اختيار ألفاظهم معتمدين على قوة الإيحاء الشعوري للألفاظ مما دعا إلى ظهور بعض الدلالات النفسية للألفاظ عند أغلب الشعراء الأندلسيين.

٥- تنوع المعجم الشعري لدى الشعراء الأندلسيين، الذي يضم ألفاظاً خاصة بغرض المديح أحدهما يتعلق بالمطية والراحلة، وآخر يتعلق بجو الحرب والجهاد.

٦- ظهور أثر البيئة الحجازية في لغة الشعر الأندلسي من خلال ورود أسماء الأماكن المقدسة والأعلام والأحكام

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

التاريخية التي جرت في تلك الأماكن.

المبحث الثاني: الصورة الشعرية:

الصورة مصطلح حديث، صيغ تحت وطأة التأثر بمصطلحات النقد الغربي والاجتهاد في ترجمتها.(٦٩)

الصورة كما عبر عنها د.علي البطل هي "تشكيل لغوي، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس إلى جانب، لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية" (٧٠).

أولاً: ألوان التصوير:

١- التشبيه:

اعتمد الشعراء على الموروث الشعري القديم، وعادة ما يلجأ الشعراء إلى هذا اللون من التصوير عندما يتعلق الأمر بموضوع المدح، حيث يقتفون أثر الشعراء القدامى الذين اتخذوا من التشبيه أداتهم الأولى في رسم صورهم.

وقد أخذ الشعراء الأندلسيون في مدحهم "يصرفون اهتمامهم، ويستهلكون قرائحهم في تطلب الصور الجديدة التي تعتمد على الإغراب والطرافة" (٧١)

ولاسيما في تصوير الممدوح الكعبة، الحرم، ومقام إبراهيم عليه السلام، فها هو ذا ابن خميس يشبه ممدوحه بالكعبة فيقول (٧٢): [السريع]

وكعبة للجود منصوبة
يسعى إليها الناسُ في كل حال

فابن خميس يصف ممدوحه بالكعبة بجامع السعي والازدحام بين الممدوح والكعبة، فكلاهما يجتمع إليهما الناس من كل حدب وصوب، وكلا طرفي التشبيه حسي يدرك بالبصر.

وأما ابن حمديس فيصف ممدوحه بالكعبة، وكفه بالركن قائلاً(٧٣):[السريع]

ذا كعبة الجود الذي كفُّه
ركنٌ، لنا لثم به واستلام
لا تحسبوها حجراً إنها
من ساكب المعروف أخت الغمامْ

فالصورة مركبة حيث شبه الشاعر الممدوح بالكعبة حين قصده بالإشارة إليه ب(ذا)، ثم اعتمد على تخير طرفي التشبيه فالمشبه (كف الممدوح)، والمشبه به (ركن) بجامع الاستلام واللثم لكلا طرفي التشبيه، ثم أكّد في البيت الثاني من خلال المجاز بأن هذا الكف أخت الغمام في غزارة العطاء والنوال، فهي بذلك تفترق عن الركن في كونه حجراً لا يجود بنواله وكرمه ككفّ الممدوح.

٢-الاستعارة:

تعد الاستعارة لوناً من ألوان التصوير التي توسل به الشعراء الأندلسيين عند استلهام الأماكن المقدسة أساساً في التجربة الشعرية ومن أهم الألوان التي تقوم عليها الصورة وأقواها في التعبير وقد أجاد الشعراء استغلاله لما تمثله الاستعارة من دور كبير في تجويد الصورة وتحسينها، وتغدو الصورة نابضة بالحياة، وذات تأثير في نفس السامع والقارئ، ومن أمثلة هذا اللون النابض بالحياة المؤثر في النفس قول ابن هانئ مادحاً(٧٤):[الكامل]

والحجرِ مطلّعاً إليك تشويقاً
والركُنِ مهتزاً إليك تشوفا

فمن خلال هذه الاستعارة يبدو الحجر وكأنه إنسان يتطلع لرؤية الممدوح الذي ينتظره ليطل عليه بطلعة وجهه، وأما الركن (الحجر) فقد ظهر وكأنه إنسان يهتز من الفرح والحبور الذي يكون ملازماً للاستقبال عند الحفاوة بالقادم، وكلا الصورتين تثيران في نفس الممدوح الراحة والأمان مع الفرح والسعادة كما تثير في نفس السامع والمتلقي الهدف نفسه فضلاً عن بيان قيمة الممدوح ومكانته العظيمة في النفوس.

ويظهر التشخيص أيضاً للأماكن الحجازية في قصيدة لابن زمرك يمدح فيها معاهد النبوة الشريفة قائلا(٧٥): [الكامل]

بمنازل الوحي التي قد شُرِّفت
قد شافهت أعلامها التنزيلا
بمعاهد الإيمان والدمِّن التي
قد صافحت عرصاتها جبريلا
ومهاجر الدين الحنيف وأهله
حيث استقر به الأمان دخيلا
دار الرسول ومطلع القمر الذي
إبتدارُهُ ما فارق التكميلا

فقد أفاد ابن زمرك في أبياته السابقة من طاقات الاستعارة وتشخيصه (للأعلام والعرصات) فغدتا في صورة العاقل المدرك، فأسند إليهما صفات العقلاء لنراها مشافهة للتنزيل، ومصافحة لجبريل عليه السلام، كما جعل الأمان مجسما في صورة محسة تلمس، واستعار له الاستقرار مما يوحي بالثبات وعدم التحرك. وبتلك الاستعارات التي جاء بها الشاعر غدت الأماكن الحجازية شخصاً تربطه بالشاعر روابط قوية ظهرت من خلال المشافهة والمصافحة.

٣- الكناية:

هي لون من ألوان التصوير، عبّر به الشعراء عن أفكارهم، وأغراضهم المختلفة.

ومن التعبير بالكناية عن المهاجرين قول ابن جابر (٧٦): [البسيط]

قوم وجوههم بشرٌ وأنملُهم
بذلٌ وربعهُم بالعزّ مأهولُ

فقد أراد الشاعر تفخيم صورة المهاجرين فجاء بالكنايات التي تدل على جودهم وكرمهم، ووفرة عطائهم، ومدى عزتهم، وبشاشتهم في وجوه العفاة وفرحهم بهم، وذلك في قوله: وجوههم بشر، وأنملهم بذل، وربعهم بالعزّ مأهول. فكأن الشاعر قصد من الكناية أن يضفي على ممدوحيه صفات كبيرة بأسلوب موجز بليغ يؤثر في نفس السامع والقارئ، فتنجذب صفات كبيرة بأسلوب موجز بليغ يؤثر في نفس السامع والقارئ، فتنجذب نفسه إليهم، وتسر لسماع مزيد من المديح.

فالكناية ساعدت بدورها الشاعر على إخراج صورة شعرية عن الممدوح كما أراد، وبصورة مترابطة صادرة عن عواطف نبيلة.

ثانياً: حيوية التصوير:

هي الطاقة التي تنشأ في الصورة من خلال بروز مواد الصورة وعناصرها كاللون، والحركة، والشكل بالاعتماد على الصورة الحسية وغلبتها على غيرها من الصور.

١- اللون:

ظهر عنصر اللون كأحد المحسوسات المكونة للصورة الشعرية عند الشعراء الأندلسيين، واهتموا بتوظيفه توظيفاً فنياً جميلاً، يظهر من خلالها ما يحمله ذلك اللون من دلالات وإيحاءات ورموز.

فها هو ذا لسان الدين بن الخطيب برع في إبراز اللونين الأسود والأبيض في قوله(٧٧): [الكامل]

ودُجُنَّةٍ كادتْ تُصلُّ بيَ السُّرى
لولا وميضاً وبارقٍ وصفيح
رعشتْ كواكبُ جَوِّها فكأنّها
ورقٌ تُقلّبهَا بنانُ شحيح

ففي البيتين السابقين يظهر السواد في (الدُّجُنّة)، ويجلين البياض في (وميضا، بارق وصفيح، والوَرِق)، وهذه الازدواجية مع التضاد تجليان لنا الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر في أثناء بعده مثوى الرسول صلى الله عليه وسلم، كما تكشف عن حالة القلق التي تسيطر عليه بسبب التخلف عن ذهابه إلى المعاهد الشريفة الطاهرة، فيجعل السواد ملازماً للجلوس وعدم الارتحال، وجعل البياض ملازماً للارتحال إلى مثوى الكريم صلى الله عليه وسلم.

وقد لازم اللون الأحمر أكثر الأمور التي لا توحي بالانشراح، من ذلك وصف شاهد المعركة التي غالباً ما يضيفون إليها هذا اللون الذي يشير إلى لون الدماء لتأكيد كثرة القتلى من جهة، وشجاعة القرسان (الممدوحين) من جهة أخرى، ومن ذلك ما ذكره ابن زمرك في اثناء تصوير غزوات المسلمين بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم مشيداً بشجاعتهم فيها(٧٨): [الكامل]

كم مشهدٍ زحفَ النبيُّ لحرْبه
في معشرِ الأنصارِ نعمَ المعشرُ
متسربلين من الحديد غدائراً
من فوقها دوحُ القنا يتأطر
وتوشحوا بجداول في شطها
لدماء من لاقته وردٌ أحمرُ
تنساب يوم الروع وهي جوامدٌ
والنصر من جنباتها يتفجر

فالمشهد السابق صورة مركبة لحال الرسول صلى الله عليه وسلم لا مع صحابته الكرام في ميدان المعركة، وقد عرض الشاعر من خلالها صفات المحاربين ولباسهم (متسربلين، توشحوا)، كما برز اللون الأحمر من خلال الإشارة إلى في دماء القتلى التي تشبه في لونها حمرة الورد، وقد أختار الشاعر هذه الصفة ليشيد بفعل الجنود (الأنصار) فعلى الرغم من شدة القتال وكثرة القتلى يفوح شذى الورد الذي ينبئ بجمال الانتصار الذي ينبثق من قلب المعركة، ليعلي من قيمة الممدوحين من جهة ويثبت شجاعتهم من جهة أخرى.

هذه هي أبرز الألوان التي ظهرت من خلال الصورة الشعرية عند شعراء الأندلس، وتركت على النفس من آثار وظلال تضفيها تلك الألوان.

٢- الحركة:

تبرز الحركة ضمن إطار الصورة الشعرية عند الشعراء الأندلسيين على أنها أحد مكوناتها التي تشيع فيها الحيوية. وتصدر الحركة غالباً من استخدام الأفعال بأنواعها، ومن أمثلة تلك الصور الحركية.

ويصور الدين ابن الخطيب حال المرتحلين بعد وصولهم وما يصدرونه من حركات وأفعال تدل على مشاعرهم الصادقة في حب الله ورسوله وتعظيمهم لمشاعر الزيارة فيقول (٧٩): [الطويل]

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

كأني بقومي حين حَلوا حلالها
وأعينهم إذا ذاك أجفانها تهمي
يكبون للأذقان في عرصاتها
سلاماً وتقبيلاً على ذلك الرسم

فتظهر الحركة في قوله (حلّوَ حلالها)، (أجفانها تهمي)، (يكبون)، (سلاماً وتقبيلاً).

خصائص الصورة:

١- تركيز الشعراء الأندلسيين على التشبيهات التقليدية، واتكاؤهم على الموروث الشعري، مما يدل على قوة الملاحظة، وحسن استغلال الصور المختزنة في عقولهم.

٢- ظهور عنصر الجدة والطرافة في الصورة عند تصوير الممدوح بالكعبة، والحرم، ومقام إبراهيم عليه السلام، إلى جانب إضفاء القدسية على الممدوح.

٣- البراعة في استنطاق الأشياء وتشخيصها، وإضفاء روح الحركة والحياة.

٤- بروز عنصر التجسيم في الصورة من خلال الكناية عن الممدوح.

٥- من أبرز الألوان التي اعتمدها الأندلسيون في تشكيل صورهم: الأبيض، والأسود، والأحمر وكان لكل لون دلالته النفسية عند الشعراء.

النتائج:

١-تطل الأماكن الحجازية بوجهها من المديح الأندلسي فيستهل بها الشعراء مدحهم بذكر تلك الأماكن المقدسة والتاريخية.. ذاكرين في أثناء ذلك أشهر المواقع الإسلامية التي حدثت كبدر وأُحد وغيرها.

٢-أصبح الحجاز بأماكنه المقدسة لدى شعراء الأندلس مكاناً أساسياً في التجربة الشعرية الأندلسية، في مناطق التأثير والتأثر بين الحجاز باعتباره مكاناً يشع بالنقاء وبين الأندلس باعتبار بيئته بيئة شعرية احتضنت ذلك المكان بكل تجلياته.

٣-الدلالة على انتماء صريح لهوية الإسلام من خلال التشبث بوصف الأماكن الحجازية وخاصة المقدسة منها.

٤-بالوقوف على معجم ألفاظ اللغة التي استخدمها الأندلسيون نلاحظ:

- الوضوح وقلة الغريب فيها وندرة استعمال الألفاظ الوحشية التي لا تتناسب الذوق والطبع.
- العلاقة القوية بين معجم الشاعر اللفظي والنص القرآني.

٥-ظهور عنصر الجدة والطرافة في الصورة عند تصوير الممدوح بالكعبة والحرم ومقام إبراهيم إلى جانب إضفاء القدسية على الممدوح

٦-تتمثل جمالية المكان الفنية في:

أ-وضوح العلاقة بين المكان والنص الشعري، والتقارب بينهما لبيان قيمة المكان الإبداعية في النص الأدبي من خلال سمات الألفاظ الدينية واللغوية والنفسية متمثلة في أثر دلالة تلك الألفاظ على البيئة الحجازية.

ب-نظرة الشاعر إلى الحجاز على أنه مكون شعري يتيح للقصيدة العربية سيرورة فنية، مع ترسيخ الانتماء الثقافي بحثاً عن الأصالة وإقرار الهوية.

٧-كان لالتفات الشعراء الأندلسيين إلى الحجاز (المكان المثال) وما يبرره من واقع الأندلسيين وتاريخهم بعدما شهدت الأندلس في مراحلها المختلفة انتكاسات متعددة في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٨-حرص الشاعر على إقرار وظيفة شعرية وهي قدرة المكان على تربية الذوق الفني.

٩-تتداعى صورة المكان المسلوب" (الأندلس) في نظر الشعراء ليتطلعوا إلى المكان المثال (الحجاز) على أنه المكان المرجو على مستوى الحلم (٨٠).

١٠-استلهم الشعر الأندلسي من الربوع الحجازية خصائص وسمات تميزت بها موضوعات الشعر الأندلسي بأنواعها ومن أبرزها: -إشاعة نوع من الشوق والحنين من خلال تردد أسماء الأماكن والمواضع الحجازية وإنسانية الشعر المتأثر بالحجاز وأصالته.

التوصيات:

دعوة للباحثين إلى توجيه دراساتهم في البحث من خلال مناطق التأثير والتأثر بين الأدب الأندلسي وغيره من الآداب المشرقية والعالمية مع دراسة جماليات ذكر الأماكن المقدسة على مستوى التراكيب والبنية الإيقاعية للقصيدة ونظام القصيدة وشكلها.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الهوامش

١- لسان العرب، ابن منظور تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي (دار المعارف، القاهرة، د.ت)، (ج، م، ل)

٢- في النقد الأدبي، د. عبد العزيز عتيق (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩١ه – ١٩٧٢م) ص١٠١

٣- المعجم الأدبي، جبور عبد النور (دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩م) ص٨٦

٤- جماليات الأسلوب – الصورة الفنية في الأدب العربي- د. فايزة الداية (دار الفكر، دمشق، سورية، ط٢، ١٤١٦ه - ١٩٩٦م) ص١٠

٥- جماليات الأسلوب، ص٩

٦- لسان العرب: (م، ك، ن)

٧- جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٤) ص١٠

٨- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب (مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، ط٤، ١٩٩١م) ج٢، ص١٠٦

٩- عامل المكان في الشعر العربي بين الجمالية و التاريخ د. عبد الله باقازي (مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ط١، ١٤١٣ه) ص١٣٢

١٠- سورة إبراهيم: آية ٣٧

١١- "نجد والحجاز في الذاكرة الشعرية الأندلسية"، د. عبد الله بنصر العلوي (ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الرابع، اللغة والأدب) (مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤١٧ه-١٩٩٦م) ص٣٩٦

١٢- اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، د. نافع محمود (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد. ط١، ١٩٩٠م) ص١٦٤

١٣- مجلة الفيصل، "الحياة السياسية والأدبية في الأندلس في عهد بني الأحمر"، (العدد ٢٩٤ ذو الحجة ١٤٢١ه – ٢٠٠١م) ص٦١

١٤- أزهار الرياض في أخبار عياض، شهاب الدين أحمر بن محمد المقري التلمساني. ضبطه وحققه مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي (مطبعة فضالة، الرباط، ١٣٩٨ه – ١٩٧٨م) ج٣، ص٤٧

١٥- المطرب من أشعار أهل المغرب، لابن دحية تحقيق أ. إبراهيم الأبياري، د. حامد عبد المجيد، و، د. أحمد أحمد درنيقة (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٣م) ص٩٧

١٦- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقّري التلمساني حققه، د. إحسان عباس (دار صادر، بيروت، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م) ج١، ص٤٦

١٧- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، خالد بن عيسى البلوي تحقيق الحسن محمد السائح (اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، د.ت) ج١، ص٢٨٢

الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لسان الدين بن الخطيب تحقيق، د. إحسان عباس (دار الثقافة، بيروت – لبنان) ص١٣٥

١٨- الأدب العربي في الأندلس، د. عبد العزيز عتيق (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت) ص١٨٥

١٩- الأدب العربي في الأندلس تطوره – موضوعاته- وأشهر أعلامه، د. علي محمد سلامة (الدار العربية للموسوعات، ط١، ١٩٨٩م) ص١٩٤

٢٠- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، د. فوزي سعد عيسى (الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ط١، ١٩٧٩) ص١٤١

٢١- ديوان ابن هانئ الأندلسي (دار صادر، بيروت، ١٤١٤ه-١٩٩٤م) ص٧٠

٢٢- ديوان ابن هانئ، ص٣٢٨

٢٣- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف. ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، هنري بيريس ترجمة د. طاهر أحمد مكي (دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م) ص٨٥

٢٤- ديوان ابن دراج القسطلي تحقيق محمود علي مكي (المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٨ه) ص٧١

٢٥- ديوان ابن دراج، ص٦٩

٢٦- ديوان ابن زمرك الأندلسي تحقيق، د.محمد توفيق النيفر (دار الغرب الإسلامي، تونس، ١٤١٨ه-١٩٧٩م) ص١٦٩

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

٢٧- شعر الجهاد في عصر الموحدين، شفيق محمد الرقب (مكتبة الأقصى، عمان – الأردن، ١٤٠٤ه ١٩٨٤م) ص٦٢
٢٨- المقومات الفنية في القصيدة الأندلسية خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، د. عبد الله بن علي ثقفان (مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٢٢ه - ٢٠٠١م) ص٢٣٨
٢٩- صورة المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، د. محمد صبحي أسعد أبو حسين (عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٣م) ص٢٣٩
٣٠- ديوان ابن دراج، ٣٠٤
٣١- سورة الأنفال: آية ٧٤
٣٢- ديوان ابن زمرك، ص٤٩٥
٣٣- سورة الواقعة: آية ٨٩
٣٤- ديوان ابن الأبار، تعليق أ. عبد السلام الهراس (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م) ص٩٧
٣٥- صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين بن أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط٤، ١٤١٨ه-١٩٩٨م) ج٤، ص٢٠٦٩
٣٦- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي تحقيق، د. مصطفى ديب البغا (دار ابن كثير اليمامة ' بيروت، ط٣، ١٤٠٧ ه) ج١، ص١٢٨
٣٧- ديوان ابن هانئ، ص١٣٦
٣٨- ديوان ابن فُركون تقديم وتعليق محمد ابن شريفة (مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، ط١، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م) ص٣٢٣
٣٩- ديوان ابن دراج، ص٢١٩
٤٠- ينظر اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص٢٢٤ – ص٢٣٠
٤١- السابق ص٢٣١
٤٢- ديوان حازم القرطاجني تحقيق عثمان الكعاك (دار الثقافة، بيروت – لبنان- ١٤٠٩ه-١٩٨٩م) ص٥٨
٤٣- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين: ص٣٣١
٤٤- الإحاطة في أخبار غرناطة، لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٣٩٧ه-١٩٧٧م) ج٢،ص٣٥١
٤٥- السابق: ج٢، ص٣٥١
٤٦- اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري: ص٢٣٠
٤٧- ديوان ابن هانئ: ص١٣٥
٤٨- جمالية المكان، غاستون باشلار ترجمة غالب هلسا (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت، ط٥، ١٤٢٠ه - ٢٠٠٠م)،ص٣٥-ص٤٦
٤٩- ديوان ابن حمديس، تصحيح، د. إحسان عباس (دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م) ص٣٢٩
٥٠- لسان العرب (أ، خ،ا)
٥١- سورة طه: آية ٢٩
٥٢- "الكعبة المشرفة في الشعر الجاهلي"، د. عبد الغني زيتوني، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (العدد ٥٦جمادي الأولى ١٤١٩ه-شوال١٤١٩ه، السنة الثالثة والعشرين كانون الثاني – حزيران ١٩٩٩م) ص١٢٢
٥٣- ديوان ابن حمديس، ص٢٣١
٥٤- ديوان ابن هانئ: ١٣٦
٥٥- تاج المفرق: ج٢، ص٧
٥٦- لسان العرب: مادة (ألف)

٥٧- العصر الغرناطي، أبو جعفر أمير الشعراء غرناطة، د.محمد موسى خشبة (كلية دار العلوم، القاهرة، ط١) ص٢٤٨
٥٨- ديوان ابن هانئ: ص٢٠٤
٥٩- ديوان ابن دراج: ص٧
٦٠- المديح النبوي في الشعر الأندلسي، د. صادق علي حبيب (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م) ص١٣٩
٦١- السابق، نفسه
٦٢- ديوان ابن دراج: ص٦٧
٦٣- توظيف التراث في الشعر السعودي المعاصر، أشجان محمد الهندي (النادي الأدبي، الرياض، ١٤١٧ه-١٩٩٦م) ص٥٤
٦٤- السابق، نفسه
٦٥- ديوان ابن خفاجة تحقيق السيد مصطفى غازي (منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٠م) ص١٤٥
٦٦- ديوان ابن زمرك: ص٦١
٦٧- ديوان ابن فُركون: ص١٢٥
٦٨- ديوان ابن هانئ: ص١١٦
٦٩- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور (دار الكتاب المصري، القاهرة – بيروت، ط١، ١٤٢٤ ه-٢٠٠٣م) ج٢، ص٧
٧٠- الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها، د. علي البطل (دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت) ص٢٥
٧١- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين: ص٣١٩
٧٢- أزهار الرياض: ج٢، ص٣٠٨
٧٣- ديوان ابن حمديس: ص٤٦١
٧٤- ديوان ابن هانئ: ص٢٠٦
٧٥- ديوان ابن زمرك: ص٤٧٧
٧٦- المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، جمع العلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني (دار الفكر، بيروت، د.ت) ج٢، ص٩٧
٧٧- ديوان لسان الدين بن الخطيب تحقيق، د. سيد غازي (منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م) ج١، ص٢٤٢
٧٨- ديوان ابن زمرك: ص٤٦
٧٩- ديوان لسان الدين بن الخطيب: ج٢، ص٥٣٠
٨٠- جماليات التشكيل المكاني في "البكاء بيني يدي زرقاء اليمامة"، مراد مبروك، علامات في النقد (النادي الأدبي الثقافي، جدة، مج ١٠- ج٣٤- شعبان ١٤٢٠ه)ص٣٨٦

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2